الاستجابات الجماهرية وفاعليتها في التغيير

Public responses and their effectiveness in change

م. م عذراء علي نعمه الخفاجي

كلية الآداب - قسم اللغة العربية

– جامعة البصرة– العراق

athraaali607@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/07/06	تاريخ القبول: 2021/07/28	تاريخ النشر: 2021/08/01

Abstract:

Contemporary rhetorical attempts seek goals that connect them to life، and what has been accomplished (public rhetoric) is only one of those attempts that carry the life function، and the growing interest in public discourse and its effectiveness in society، is what gave vitality to this cognitive activity، as these discourses contribute to the change Our intellectual orientations by getting rid of their hegemony، as well as the serious attempt to produce an eloquent audience that is aware and interacts with what is going on around it. This study revolves around the diverse and different public responses to an emergency religious phenomenon (the placement of the Kaaba model between the two holy mosques) and the effectiveness of these responses in changing، and this research aims to Proving the success of this cognitive achievement in advancing contemporary reality، and creating public awareness at the same time.

مُلَخَّصُ البَحْثِ

تسعى المحاولات البلاغية المعاصرة إلى غايات تصلها بالحياة، وما منجز (بلاغة الجمهور)إلا إحدى تلك المحاولات التي تحمل الوظيفة الحياتية، وتزايد الاهتمام بالخطابات الجماهيرية وفاعليتها في المجتمع، هو ما أعطى حيوية لهذا النشاط المعرفي، لما تسهم فيه هذه الخطابات من تغيير توجهاتنا الفكرية من خلال التخلص من هيمنتها وكذلك المحاولة الجادة في إنتاج

جمهور بليغ يعي ويتفاعل بما يدور حوله. وتتمحور هذا الدراسة حول الاستجابات الجماهيرية المتنوعة والمختلفة ازاء ظاهرة دينية طارئة (وضع مجسم الكعبة بين الحرمين) ومدى فاعلية هذه الاستجابات في التغير، ويروم هذا البحث إثبات نجاح هذا المنجز المعرفي في النهوض بالواقع المعاصر، وخلق وعي جماهيري في الآن نفسه.

الكلمات المفتاحية: الاستجابة، الجمهور، البلاغة، فاعلية التغيير

مدخل:

قد نتساءل عن ممارساتنا الأدبية والفكرية، وكيفية اشتغالها في حل مشكلاتنا الواقعية التي تمس حياتنا بشكل مباشر، ((فاللغة، والأدب، والفن، والبلاغة، إنما هي مسخرة في خدمة الحياة التي لها الاحترام الأول، والمكانة المفضلة فنحن نتعلم الفنون، ونمارس البلاغة، وَنُعْنى بالثقافة؛ كي نصل في النهاية إلى مستوى عال من الحياة ولذلك لا نحتاج إلى أن نشرح للقارئ أن بلاغة الحياة أهم وأخطر من بلاغة اللغة))[1].

وتفرض مثل هذه الممارسات كسر النمطية في ردود الفعل أو الاستجابة عن جموع المتلقين.من خلال منتج معرفي معاصر أُطلق عليه (بلاغة الجمهور) الذي يتيح لقائمة الافراد التي تشاركنا الحياة وباختلاف مستوياتهم الفكرية والثقافية وكذلك البلاغية، في تحفيز الآراء التي قد تتقدم بالواقع الراهن. وأن سلطة الخطابات وخاصة الخطاب الديني وما يحمله التراث الشعبي الديني أو بالمعنى الادق ما تغذت عليه الذاكرة وشكلته لأنها الوسيط بيننا وبين التراث، ((فالذاكرة هي المسؤولة عن تصميم وقائع حياتنا ورسم معالم وجود هذه الحياة.... وهي حاضنة للأحداث والشخصيات التاريخية))[2].

وعلى الرغم من ذلك نجد هناك سلطة الانتقادات التي تشكل قوة مضادة تتضمن اراء وتوجيهات للجمهور تقف بوجه تلك المحمولات التراثية المرتبطة

بالأحداث التاريخية التي نظمتها الذاكرة الجماعية المسؤولة عن توصيل الافكار ((فالذاكرة ليست الماضي أو الزمان فحسب، بل هي وعيينا المستمر بالماضي ومحأولة الارتداد المستمر له، ولذا صارت الذاكرة تمثلنا ونتمثل بها، لأنها هي المسؤولة عن وعينا))[3]، وما تختزنه الذاكرة من معرفة عن ظاهرة فرضت وجودها من خلال تكرارها خلال سنوات مضت من قبل بعض الأفراد الذين حولوها من فعل إلى ظاهرة أو طقس ديني لأداء وظيفة معينة وأصبح لها وجود واقعي وتمكنت من فرض نفسها على المجتمع وتشترك في انتعاشها عدة امور منها العقائد والعادات ووجهات النظر المؤيدة ، وهذا الكلام لا يقتصر على الظواهر الدينية فحسب، بل يتعداه إلى اغلب المجالات الحياتية.وبعد أن تحولت ((مهام علم البلاغة من دراسة المفردة في الجملة داخل النص ودراسة النص داخل الخطاب إلى دراسة هذه المستويات وعلاقتها بالمجتمع والسياقات التي انتجت فيها، وبذلك تتم عملية بحث حياة الفعل البلاغي ووظائفه في المجتمع))[4].جاء هذا النشاط المعرفي (بلاغة الجمهور) للتحرر من قدسية هذه الاحداث وهيمنتها من خلال اتاحة المجال وبحرية للتصدي لتلك الطقوس التي تحولت إلى ظواهر اجتماعية لها فاعليتها البلاغية، وبناء وعي جديد اتجاه الواقع الاجتماعي.

وهذا ما قصدنا اليه في هذا البحث بحيث اخترنا التركيز على المتلقي اكثر من المنتج ، من خلال نموذج اعتبرناه يملك حظا وافرا من الحضور الاجتماعي، قد تلتقي نتائجه مع اشتغالاتنا الأدبية البلاغية المعاصرة ويظل حقل بلاغة الجمهور هو الاتجاه البلاغي الأكثر عناية بالمتلقي واستجاباته ودوره في مواجهة المشكلات الاجتماعية والسياسية والعلمية... الخ.

ويتوخى بحثنا الافادة مما حققته الدارسات المعاصرة للبلاغة، وما نتج عنها من إبراز دور الجمهور اتجاه أحد الممارسات أو الاعمال الدينية . ((لأن عصرنا هو عصر التحوّل _ على حد تعبير غوستاف لوبون _ جعل من

الطبقات الشعبية طبقات قائدة))[5] ، فالجماهير لهم الفاعلية الأقوى على التغير وأعادت فهم الكثير من انظمة ومجالات الحياة ومن ضمنها الحياة الدينية وخاصة الفئة التي تقدم الأدلة المعرفية بحكم الاطلاع والقراءة وحتى النوع الاخر من الجماهير فهي بالتالي تنخرط وراء الصنف الأول من الجماهير.

أولاً: بلاغة الجمهور

تكمن أهمية بلاغة الجمهور في الاقتراب وملامسة الزمن والحدث الانسانيين الهامين الذين يمسّان مصير هذا الانسان عن قرب، حتى يستطيع أن يقرر فيها عن معرفة وعلم ووعي وإدراك ما يدور حوله، فان الاستجابات البليغة (المؤثرة المقنعة)وتمكين الجمهور وإعطاءه الفرصة تجدي نفعا اجتماعيا، وفي الآن ذاته تمكن ذلك الجمهور من التخلص من هيمنة الخطابات والأفكار والأعمال فبعد هذا الانفتاح التواصلي عبر وسائل التواصل الاجتماعي علينا الاخذ بعين الاعتبار بلاغة العامة واستجاباتهم لما يحدث في الواقع .فان ((غاية بلاغة الجمهور إمداد الانسان العادي الذي يشكل اللبنة الاساسية للجمهور بمعرفة تمكنه في حالة تعرضه لخطاب ما الكشف عن تحيزات الخطاب ومبالغاته ومغالطاته ومفارقاته للواقع))[6].

وبما ان للبلاغة ثلاثة أبعاد أولها: التقنيات الأسلوبية التي يتحلى بها الخطاب وظيفتها تحسين الكلام (الجمالية)، والبعد الثاني: مجال التقنيات والمواضع الحجاجية التي تروم الاقناع (الإقناعية) أما البعد الثالث فإنها الوظيفة التأثيرية الإفهامية (المعرفية) فان التركيز على البعد الوظيفي والتأثيري هو ما يجعل البلاغة امبراطورية، لأن قصرها على التقنيات الأسلوبية التي تحسن الكلام، أو اعتبارها وسيلة اقناع وحجاج يحد من فاعليتها المجتمع ، فالبلاغة تتعدى عن كونها قصورا جماليا بل تساهم مساهمة جبارة في حياة الفكر الانساني وعدم الاستسلام لبلاغة جوفاء لا

تجدي نفعا إلا لفئة متخصصة، لان ((فن البلاغة يجب ان يكون في خدمة الحياة العصرية، يجب ان يتغير كي يخدمها، فلم يعد مجتمعنا في حاجة إلى البهارج، والزخارف البديعية، نحطم رؤوس أبنائنا بتعلمها أو ممارستها، ولكنا في حاجة إلى أن نجعل البلاغة فناً للتفكير الحسن والسديد))[7]. مما يجعل للبلاغة روحا مختلفة. وعليه ينصب هذا البحث على التموضع بين البلاغة والمجتمع، فلكل فرد جهاز تفكير يخوله استعمال افكاره وبالتالي التعبير عنها بطريقة أو بأخرى.

يعتمد هذا التوجّه البلاغي المعاصر (بلاغة الجمهور)على منح استجابات المتلقي / الجمهور فسحة تنضوي على قدرة مفتوحة ذات أثر عبر تعليقات لأفكار قابعة في ذهنه مميطاً للثام عن ما يستتر في ذاكرته اتجاه الواقع الراهن ليكون سبيلا مؤدياً إلى الافصاح عن مكنوناته عبر تلك الوسائل التواصلية منتقيا من بين طيات ذهنه الجامع للكثير من التصورات معبرا عن ما يريد قوله عبر تركيبة جمل مدروسة أو غير مدروسة ولهذا الجمل أثرها البالغ في التغيير (وهذا ما سوف نثبته في بحثنا). فإن ((بلاغة الجمهور هو احد المشروعات المعرفية التطويرية الراهنة في البلاغة العربية))[8]، التي تسعى إلى انفتاح البلاغة على الممارسات الاجتماعية والخطابات البلاغية في الحياة اليومية والابتعاد عن جعلها حكرا على الخطابات الأكاديمية وتمارس نشاطها على تلك الخطابات التي تدير المجتمع بشكل أوسع بل وتؤثر عليه تأثيرا هائلا. ((حتى ان توصيف هذه البلاغة بأنها بلاغة مناضلة أو ثائرة أو تحررية لأن مهمتها الأساس هو خلق الوعي بالتحرر وإنتاج خطابات تكتسب شرعية وجودها في المجتمع عبر بلاغتها))[9]، وبذلك تبرز وظيفتها الاجتماعية بشكل جلي، في الكشف وإزالة اللثام عن الكثير من الممارسات والخطابات السلطوية والمهيمنة على الذاكرة المجتمعية ومحاولة التغيير من خلال تقديم وعي معرفي ازاء هذه الخطابات. فهي ((بلاغة تستمد جمالها وتأثيرها من الأثر البلاغي الذي تحدثه الجماهير في عصر

الاستجابات السريعة التي تتبنى هذه البلاغة، والتي خولتها الثورة الرقمية بوسائلها التي سهلت التواصل، وجعلت الانظمة التقليدية عاجزة عن تكميم أنفاسها كما في السابق))[10].

ثانياً: خصائص مواقع التواصل الاجتماعي:

مما لا شك فيه ((أن شبكات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك / تويتر) أحدثت طفرة نوعية ليس فقط في مجال الاتصال بين الأفراد والجماعات بل في نتائج وتأثير هذا الاتصال. والدور الذي يلعبه الاعلام الجديد وبشكل خاص شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي وأعطت للمتلقي فرصاً لم يعهدها أو يألفها في التعبير عن الرأي وهي في حركة دينامكية من التطور فقد كان في بداياته في مجتمعاتنا على نطاق ضق ومحدود ثم ما لبث ان ازداد مع الوقت ليتحول من اداة اعلامية نصية عبر الكتابة إلى ردات سمعية وبصرية))[11]، فقد اتاحت هذه الوسائل وبحرية تامة التعبير عن ما يجول في خاطر المتلقي مما يتسنى للجمهور من اثبات فاعليته في ما يحدث. من خلال التعرف على خصائص تلك المواقع الخمس بين خاصية المشاركة التي تعطي فرصة التفاعل حول المحتوى المنشور، والحوارية حيث اتاحت لمستخدميها ولأول مرة امكانية التحدث فيما بينهم ومشاركة ردود افعالهم، والانفتاح العالمي، ويتمثل في توفير العديد من المعلومات الشخصية عن المستخدمين وقدرتهم على ابداء الآراء بأقل قدر ممكن من القيود، اضافة إلى العالمية التي تلغي الحواجز الجغرافية والمكانية،((فالفرد في التواصل الاجتماعي كما أنه مستقبل وقارئ، فهو مرسل وكاتب ومشارك؛ فهي تلغي السلبية في التلقي في الإعلام التقليدي، وتعطي حيزاً للمشاركة الفاعلة من المشاهد والقارئ))[12].

ما يتضمنه عمل هذا النشاط المعرفي (بلاغة الجمهور) التركيز على التعليقات التي تتيحها خاصية المشاركة التي تعطي فرصة التفاعل حول المحتوى المنشور، وهذه التعليقات هي مجموعة من الخطابات التي قد

تتكون من جملة واحدة أو مجموعة من الجمل ترد بخصوص ذلك المحتوى، وقد تكون مؤيدة للمنشور (موقف دفاع) أو تأخذ موقف محايد، أو تاخذ موقف الضد (قد يكون موقف سخرية أو هجومي)، وقد يحأول الجماهير في هذه التعليقات تحليل وتأويل مضمون المنشور بحسب الاختلاف بأنواع التلقي وبمستوى الوعي الثقافي والعلمي الذي يمتلكه. ويمر التعليق بثلاثة مراحل الأولى: هي تحديد طبيعة النص من ظروف محيطة وتاريخ الكتابة وكافة المعلومات المتعلقة بالمنشور وتحديد اتجاهاته دينية أو سياسية أو غير ذلك وبعد هذه الخطوة يصدر المتلقي الحكم على الخطاب بالطول أو القصر من خلال الربط بين كل المتعلقات التي تحيط به وابداء الرأي، وان كل ما يقال أو يكتب يدخل ضمن قائمة التعليقات التي تحمل دلالات متنوعة وهذه الدلالات قصدية حتما، وتعتبر هذه التعليقات مجموعة من التحليلات للخطابات والاحداث الاجتماعية، وبذلك يلتقي مشروع بلاغة الجمهور مع تحليل الخطاب في منطقة تقاطع .

ميدان الممارسة: استجابات الجمهور ومجسم الكعبة في كربلاء

إنماز هذا البحث التركيز على تعليقات الحشود الجماهيرية إزاء حادثة دينية تجسدت في وضع مجسم الكعبة في الحرم الحسيني بكربلاء والضجة الاعلامية التي دارت حول هذا الموضوع ما جعل الجهات المعنية تقوم برفع هذا المجسم بعد يومين من وضعه. وكانت الردود بين الرافض والمؤيد والساخر. وما هذا إلا دليل على تحفيز الوعي لما يدور حولنا . و هذه الصورة تمدنا بسلسة من المعاني والأفكار وبالتالي يقوم الجمهور بدوره في استخلاص هذه الدلالات وكل حسب مرجعياته.

اعتادت الحشود الجماهيرية على مشاهدة الطقوس لأنها أفعال بلاغية دينية، وتقوم هذه الحشود باستجابات مؤيدة لهذه الطقوس على اختلافها من حيث الزمان والمكان. فضلا عن أن الطقس ليس سلبيا، بل هو ممارسة

اجتماعية دينية، وله فاعلية في المجتمعات ومنها المجتمع العراقي بشكلها ووظيفتها البلاغية((وأن ثمة عوامل وظروف داخلية وخارجية تسهم في تهيئة شكل الطقس وإبراز فاعليته مثل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودراسة الطقوس بلاغيا ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى فهي جزء من الممارسات الاجتماعية فهي فعل بلاغي ينتج مجموعة من الوظائف المتعاضدة فيما بينها التخييلية والاقناعية والاجتماعية والايديولوجية ولهذه الطقوس فاعلية في تأدية الغرض الذي من أجله مورس ويسعى الممارسون من خلاله تحقيق اهدافهم))[13]، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف تتشكل الطقوس؟ وكيف تتحقق هيمنتها؟

للتراث الشعبي أثر في تشكل الطقوس لأن التاريخ بدون تراث جثة هامدة وأن الطقوس والتقاليد والقيم كلها نسيج التراث الشعبي، ((فالتراث خزانة من النصوص والمعارف، تُقدَم هذه الخزانة عبر ما نسميه " الذاكرة " بوصفها الفهم المتراكم لهذا التراث، فهي التي تنظم صور التراث ومن ثم تملك قوة فرض هذا التنظيم))[14]. وتأتي الذاكرة لتلتقط الصور من ذلك التراث وتعمل عل صياغتها وترتيبها. وإذا كانت الدلالة تستنفذ ثراء الصور فإنها تعلن عن معاني صريحة، فالصورة تمدنا برسالة نستقي معناها حينما نستحضر ما تحمله الذاكرة من خلفيات متعلقة بها،((فالصورة هي إعادة تقديم، يعني أنها في النهاية إحياء))[15]، وهذا ما ينطبق على ما تحمله صورة مجسم الكعبة فقد كان إحياء للتراث الشعبي الديني من جهة استعادة هذه الظاهرة، وإحياء لحدث تاريخي ذات محمول يمحل عدة دلالات منها اثبات ولادة الشخصية التاريخية الدينية (الامام علي عليه السلام)في الكعبة ويقود ذلك إلى تناسل دلالة أخرى تؤكد عظمة هذه الشخصية المرتبط بعظمة المكان وقداسته، وتفرد هذه الشخصية بالولادة بهذا المكان، فضلا عن إثبات حق المنزلة الخاصة لتلك الشخصية، وقربها من رب هذا البيت (الكعبة المشرفة) الذي فضله الله بهذه الولادة دون العالمين، والكثير من

المـداليل التـي تتبـع هـذه التـأويلات التـي تفصـح عنهـا بلاغـة تلـك الصـورة. إذن مـا الـذي أفقـد هـذه الصـورة التعبيريـة جـزءا كبيـرا مـن وظيفتهـا التواصـلية عنـد الكثيـر مـن الجمهـور ؟؟ والجـواب هـو اخـتلاف السـياقات المتعلقـة بوضـع هذا المجسم مما أثار الكثير من التعليقات الجماهيرية المتنوعة.

أمّـا عـن كيفيـة تحقّـق الهيمنـة فهـو مـن خـلال إضـفاء القدسـية على هـذه الطقـوس. وعلـى الـرغم مـن أثـر التـراث الشـعبي فـي إثبـات الطقـوس إلا أن ديمومتـه هـي شـرط مـن شـروطه وتقـوم الـذاكرة تلـك الصـياغة البشـرية علـى التماشـي مـع تلـك الطقـوس بنـاء علـى رغبـات الأفـراد وتوجهـاتهم المعرفيـة. علـى الـرغم مـن وضـع مجسـم الكعبـة أكثـر مـن مـرة قبـل النظـام البائـد، إلا أن هـذه الحادثـة لـم تتكـرر منـذ سـنوات طويلـة فمنـذ سـنة 2003 وحريـة القيـام بالممارسـات الدينيـة متاحـة بشـكل كامـل، إلا أن النـاس لـم تشـهد وضـع هكـذا المجسـم وفـي هـذا الموضـع بالتحديـد، ونسـتطيع أن نعـد هـذه الحادثـة ممارسـة طارئـة لا تخضـع إلـى مجمـل الطقـوس الدينيـة، وهـذا أحـد الأسـباب التـي فتحـت بـاب التعليقـات الجماهريـة، فضـلا عـن هيمنـة القدسـية الدينيـة علـى هـذه الحادثـة إلا أن هـذا لـم يمنـع تلـك التعليقـات المتباينـة والتـي تؤكـد الـتخلص مـن سـلطة الممارسـات، وبالتـالي فـان هـذه الحادثـة تجـرد نفسـها مـن ثنائيـة الطقس والشعيرة وتوضع في صنف الممارسات الطارئة.

يشـهد التـراث الشـعبي الكربلائـي هكـذا حادثـة فـي سـنة 1954م وفـي سـنة 1961م وكـان يوضـع لإداء مشـهد تـوثيقي لنقـل حادثـة ولادة الامـام علـي عليـه السـلام فـي الكعبـة المشـرفة، باعتبـار المشـهد البصـري ابلـغ واقـوى مـن الكلمـة المكتوبـة فالمجسـم دعمـا للخطـاب الـديني لتأكيـد المعلومـات عـن الاحـداث التاريخيـة الدينيـة ((وهـذه الظـواهر تشـكل جـزءاً مـن وظيفـة اللغـة وتسـاعدها علـى أداء المعنـى بشـكل أفضـل.. لمـا تقدمـه هـذه الظـواهر الانسـانية البصـرية مـن دلالات معرفيـة وسـياقية تخـدم اللغـة وتسـاعدها فـي اداء وظيفتهـا فـي نقـل

المعرفة والمعلومات ووظيفتها التواصلية والتأثيرية بشكل عام))[16]، وكانت هذه الغاية المقصودة من الوضع حيث قام أحد المواكب بإقامة نفس المجسم متزامنة مع الايام القريبة من الولادة الشريفة، إلا أن ما أثار الضجة الاعلامية هي زمن وضع المجسم يوم 18/ 2/ 2012 وهذا الوقت يسبق يوم الولادة بكثير فيوم الولادة يوم الجمعة المصادف 26/ 2/ 2021، فضلا عن الزمان، فان مكان المجسم مُثيرا أيضا فقد وضع بالقرب من الحرم على أن مكانه في التراث الكربلائي، كان يُنصب يوم الولادة في ساحة البلوش المخصصة لإقامة التشابيه ومجالس العزاء بالقرب من تقاطع باب النجف، فهو مكان له خصوصية لتلك الممارسات وكما واضحا من خلال الصور أنه كان محاطاً بسور، حيث لا يُسمح لأي شخص التقرب منه أو الطواف حوله كما حدث هذه المرة، وبالنتيجة كانت هذه الاختلافات سببا في إثارة هذه الضجة الاعلامية. وإن إعادة الوعي بذلك التراث وفحص تفاصيل المعرفة من خلال أحد الأدوات التي أعطت الجموع الغفيرة الفرصة لذلك من خلال ما صاغته الذاكرة اتجاه هذه الطقوس وتقديسها، فجاءت هذه التقنية الجماهرية لإعادة الوعي والتحرر من هذه القيود، وابداء تصريحات جريئة تعلن عن عدم تجلي الاقناع كعملية اجرائية اتجاه هذه الصورة الإقناعية المتمثلة بالمجسم.

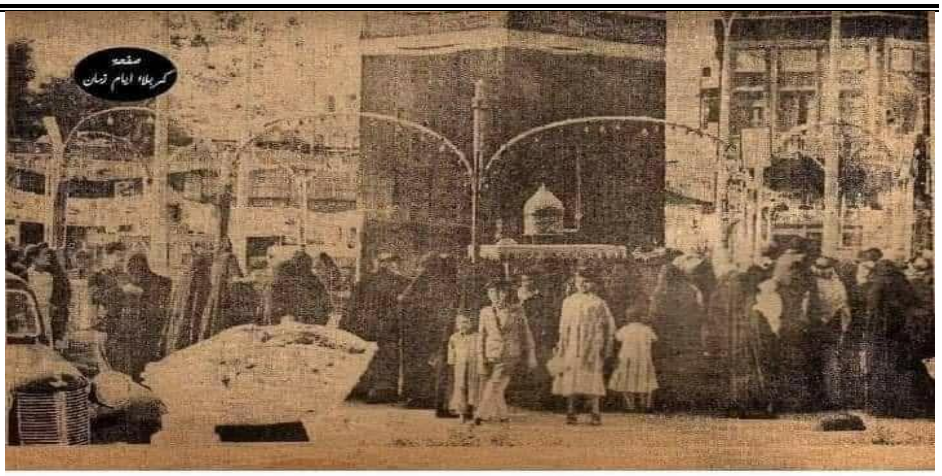

تشابيه مجسم الكعبة في كربلاء عام ١٩٥٤م

وهذه الصورة لمجسم الكعبة هي من خزين التراث الديني الشيعي والفارق واضح حيث السور حول المجسم، فضلا عن اختلاف المكان فالموضع بعيد عن منطقة بين الحرمين.و بما أن مسألة فاعلية الخطاب بكل أنواعه حدث يجري خارج اللغة، لان ظروف انتاج الخطاب تشكل عنصرا اساسيا في بلورته، فهذا الاختلاف كان من الاسباب الأولى في اثارة الجمهور.

اعطى هذ النشاط المعرفي تصورا خاصا عن التراث ومحأولة استرجاع ما خزنته الذاكرة الجماعية من صور تحمل نفس المجسم للإحاطة بكل ظروف انتاجه، وقد تقتصر رؤية بعض الاشخاص على حدود الحادثة دون الاطلاع على تاريخها . بيد ان هذه الصور هي خير دليل على توالها ولكن بسنوات غير متتالية.

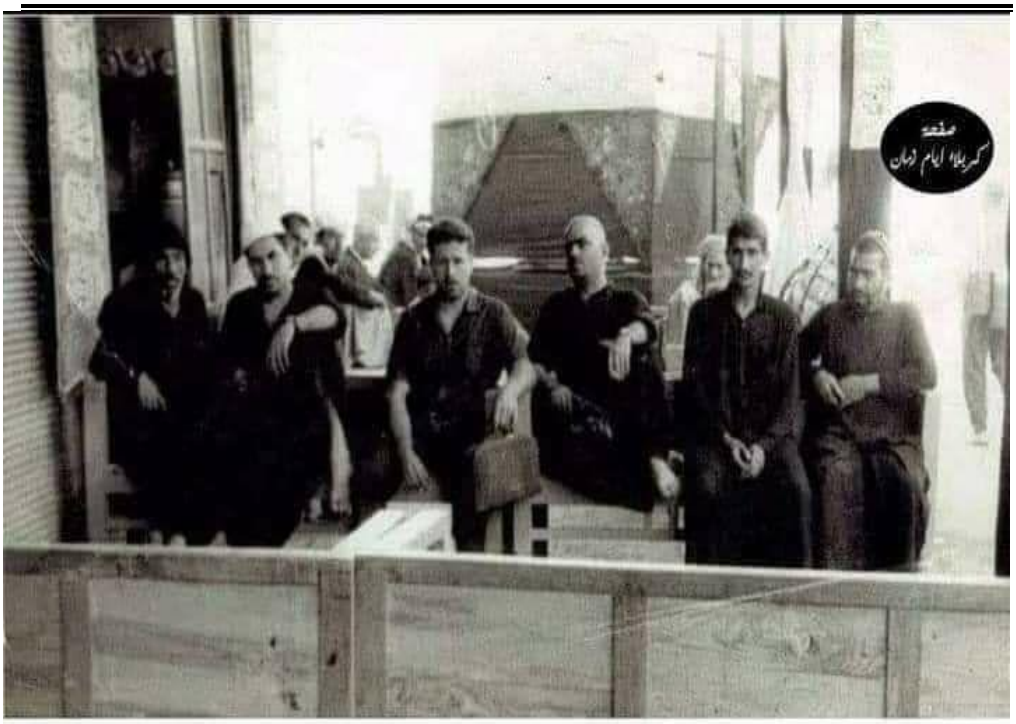

مقهى السيد علي البلوشي ويظهر خلفهم مجسم الكعبة عام ١٩٦١

وتكتسب بعض الأحداث صفة فكرية ذات دلالات دينية بيد أنها تفقد هذه الصفة باختلاف سياقاتها. فعلى الرغم من تشابه المجسم مع مجسم الكعبة الموضوع في الوقت القريب إلا أن اختلاف الظروف المحيطة من حيث المكان والزمان والسياق زعزعت الكثير من غايتها التواصلية .

((تعد دراسات التواصل اكثر الحقول المعرفية تماسا مع مشروع بلاغة الجمهور، فعلى مدار القرن الماضي بأكمله حظي الجمهور العمومي باهتمام أكاديمي متواصل... وتدشين ما اصبح يعرف بعصر الجماهير الغفيرة))[17]، وعلى اختلاف مستويات الجمهور الثقافية والعلمية الا ان دوره وفاعليته في التغيير واضحة. وفيما يلي نعرض نماذج من الاستجابات الجماهيرية عبر وسائل التواصل:

يـرى بعـض الأشـخاص وكمـا فـي التعليـق الأول فرصـة للهجـوم لمـا تتمتـع بـه هـذه التعليقـات مـن جـرأة وتحـرر فقـال احـد الاشـخاص (عبـث وجهـل وتخلـف) حيـث يعطـي مربـع التعليـق مسـاحة حـرة للمسـاهمة فقـد وجـه هـذه الكلمـات التي بمثابة رد سلبي عن تواجد المجسم.

أما ما جاء في التعليق الثاني فقد استنتج الدلالة المتوخاة من وضع المجسم على الرغم من مخالفته للسياقات الواردة في التراث، ولكنه اكتفى بتزامن وضعه مع مناسبة ولادة الشخصية الدينية المرتبطة بهذا الحدث وهناك علاقة بين المجسم والولادة، دون ان يفصح عن تفاصيل هذه العلاقة وهذا ما تكرر في التعليقات التالية.

كتب أحد المخاطبين:

(استغفر الله اللهم لا تأخذنا بما فعل السفهاء "منا، اللهم ارحمنا ونجنا من القوم الكافرين ").

وبذلك أعطى حكماً على هذا الحدث بأنه عمل سفيه، أي لا قيمة بلاغية له. ولكن لم يعط سببا لهذا الحكم أو حجة مقنعة له، وتبقى الإساءة التي تكون بدون مبرر لا تتميز بالقوة، ومن الاستجابات الغير نقدية، لأن الاستجابة النقدية لا تتعرض إلى الإساءة والتجريح للخطاب، ((وأهمية هذا التحديد تأتي من شيوع تعليقات الذم والسب من قبل المستخدمين..... مستفيدين من حرية التعليق التي تتيحها المواقع التواصلية، ومن صعوبة التتبع وتجهيل المصدر كخاصيتين من خصائص التواصل الاجتماعي في الفضاء الافتراضي))[18]

وهنك تعليق هجومي قد يختلف، لأنه قدّم حجة مخالفة للواقع الديني وبالتالي تغيّر ركن من أركان الدين الاسلامي وهي اتجاه الصلاة (القبلة). والجدير بالذكر أن الاستجابات النقدية متوفرة وفعالة لأن تقنيات ((التواصل الاجتماعي الافتراضي تساهم بشكل كبير في تقوية تأثيرها سواء

على المتكلم نفسه (منشئ الخطاب) أو على جمهور المتلقين الذين يتلقون الخطاب ويتلقون نقده في الوقت نفسه))[19]

أما عن الاستجابات التي تلقت الظاهرة على أنها إحياء للتراث الشعبي الكربلائي وتكريما لمن ولد في الكعبة المشرفة واثبات هذه الولادة المتفردة في التاريخ الاسلامي وشخصياته. فهي متكررة. بيد ان مكان المجسم وزمانه هو من قدّم لغيرهم الحق في مخالفتهم الرأي.

والقسم الثالث من المتلقين أثاروا السخرية بكلمات تحمل بين طياتها الاستهزاء . وهي آلية انتقادية مشهورة، تهدف إلى جعل خطاب المتكلم مادة للسخرية وتنزع عنه الجدية المفترضة، وتكون شديدة الفعالية في الخطاب الديني. ومن أمثلة التعليقات الساخرة ما كتبه أحد الأشخاص: (بقى فقط وضع المسجد الاقصى ويصير المكان فل أوبشن)، يتضمن هذا التعليق ما لم يذكر في المكان (المسجد الأقصى) أي ما يمكن احتمال وضعه، باعتباره من الأماكن المقدسة التي لا يمكن التلاعب بموضعها الواقعي.

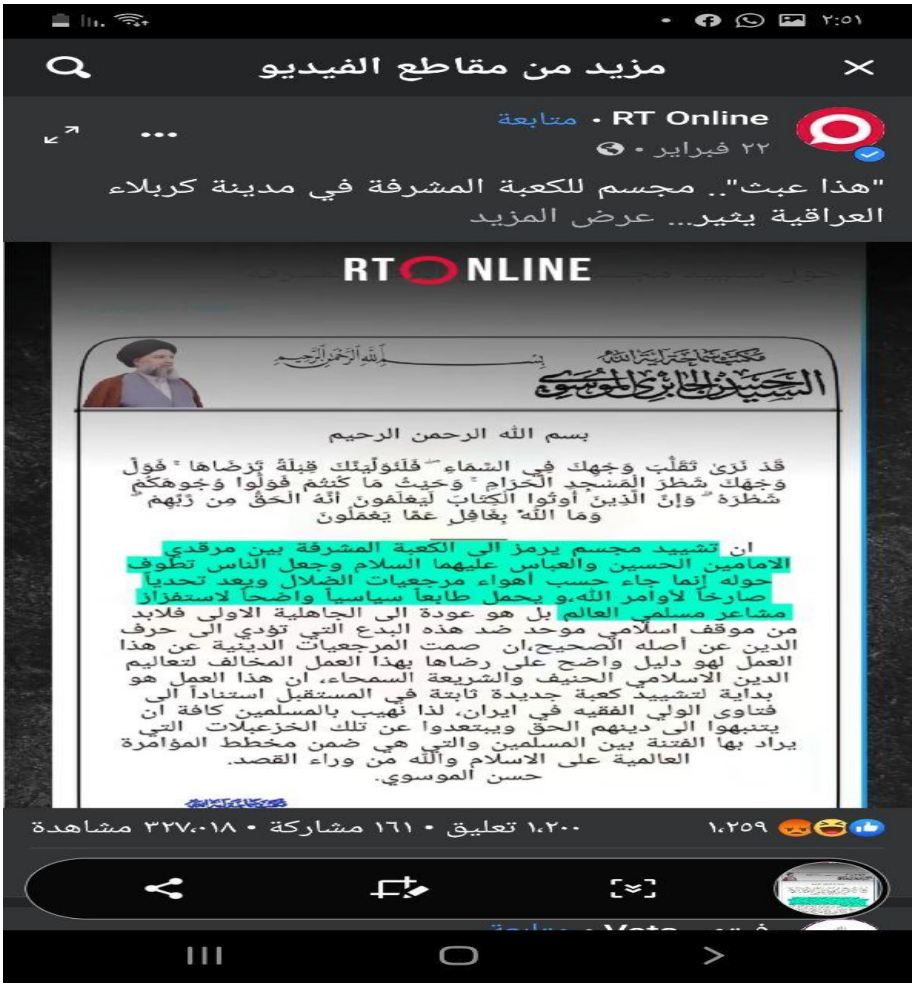

أمـــا مـــا جـــاء فـــي تعليـــق هـــذه الشخصـــية الدينيـــة، فمـــع الإحاطـــة بمتعلقـــات الحـــدث الســـياقية والاجتماعيـــة والتفاعـــل معهـــا مـــن خـــلال نظـــرة كليـــة، فـــلا ينجـــز أي تحليـــل بمعـــزل عـــن هـــذه المتعلقـــات والمعرفـــة بهـــا هـــي بوابـــة الانطـــلاق إلـــى الحكـــم، وبعـــد التســـلح بهـــذه الإمكانيـــات يمكـــن للجمهـــور أن ينـــتج اســـتجابة بليغـــة فكـــل هـــذه المتعلقـــات هـــي أطـــر معرفيـــة تعمـــل فـــي داخلـــه للوصـــول إلـــى أهدافـــه المتوخـــاة. مـــع كـــل ذلـــك فـــإن مـــا كتبـــه يحمـــل اســـتجابة رافضـــة تتميـــز بهجوميـــة عنيفـــة ضـــد هـــذا الحـــدث مـــع بيـــان الحجـــج والمبـــررات لهـــذه

الاستجابة، فالحجة الأولى: أن ما جاء هو حسب أهواء مرجعيات الضلال، والحجة الثانية: تحديا صارخا لأوامر الله ويحمل طابعا سياسيا واضحا لاستفزاز مشاعر مسلمي العالم، والحجة الثالثة: عودة الجاهلية الأولى.

وبعد تقديم هذه الحجج والنقد الحاد وإيضاح الغرض المرجو من المجسم والذي يحمل طابعا سياسيا باعتباره اكتشافا لحقيقة هذه الحادثة، فكيف بالتالي يؤدي هذا المجسم غايته البلاغية؟ ومن بين التعليقات دعوة صارمة للمسمين لاتخاذ موقف موحد ضد هذه الظاهرة لأن ذلك يؤدي إلى تحريف الدين عن أصله الصحيح، وعدم السكوت، وقد أسهم هذا التعليق في تعميق الشعور بالمسؤولية والدعوة إلى الانتباه إلى مخطط المؤامرة العالمية على الإسلام.

وعلى اختلاف أراء الفرق الثلاثة من المتلقين يعتبر هذا التعليق الأبرز لأن صاحب التعليق(السيد حسن الموسوي) من الشخصيات الدينية المعروفة على صعيد المجتمع الاسلامي، وتحميل هذا الحدث الطابع السياسي يعد تعليقا متفردا، فضلا عن أنها -في نفس الوقت- بدعة تؤدي إلى انحراف الدين عن طريقه الصحيح. وباختلاف الشخصيات الجماهيرية يختلف وقع الاستجابة.

ومن المخاطبين من يوضح سبب استحسانه اتجاه هذه الحادثة ويقرن هذا الاستحسان بمبرر فعل العملية التواصلية لحادثة الولادة وتجسيد الموقف التاريخي لذلك الحدث بواسطة هذا المجسم. وقد تكررت مثل هذه التعليقات.

مزيد من مقاطع الفيديو
RT Online • متابعة
٢٢ فبراير •
"هذا عبث".. مجسم للكعبة المشرفة في مدينة كربلاء العراقية يثير... عرض المزيد
RT NLINE
فطاموه
@fatimah__8814
الكل يدري حاطين مجسم الكعبه في كربلاء المقدسه عشان مولد الإمام علي عليه السلام لأن هو وليد الكعبه مادري ليش التفلسف والتهجم على الشيعه مادري لمتى الطائفيه والتفرقه بين المذاهب ويعني بكل مكان يسوون مجسمات للكعبه حتى في المدارس سوينا بس احين وقفت على الي في كربلاء عشان المولد
Translate Tweet
١،٢٥٩
١،٢٠٠ تعليق • ١٦١ مشاركة • ٣٢٧،٠١٨ مشاهدة
أعجبني
تعليق
مشاركة

٢:٤٩
مزيد من مقاطع الفيديو
RT Online • متابعة
٢٢ فبراير •
"هذا عبث".. مجسم للكعبة المشرفة في مدينة كربلاء العراقية يثير... عرض المزيد
RT NLINE
كوالا
@GreyKuala
Replying to @ScreenMix
هانت باقي المسجد الأقصى ويصير المكان فل اوبشن
Translate Tweet
1:41 · 21 Feb 21 · Twitter for Android
١،٢٥٩
١،٢٠٠ تعليق • ١٦١ مشاركة • ٣٢٧،٠١٨ مشاهدة
أعجبني
تعليق
مشاركة

أمـا محتـوى هـذه التعليـق فيتمحـور حـول فكـرة التحريـف، فثمـة عبـارات تشـير إلـى محاولـة تغييـر التـاريخ الاسـلامي، حيـث كتـب المعلـق (شـباب احفظـوا الصـور عنـدكم تـرا بعـد مئـة سـنة بيقولـون أن الكعبـة أصـلها فـي كـربلاء) وهـي اسـتجابة كاشـفة عـن اتهـام الجهـة الواضـعة بالتـدليس والتحريـف للوقـائع الدينيـة، فـي الوقـت الـذي أتاحـت فيـه مواقـع التواصـل الافتراضـي فرصـة

صياغة خطاب بلاغي مضاد استطاع أن يجذب انتباه عدد كبير من المتابعين، يفوق في درجة انتشاره انتشار المجسم نفسه، فهذه التعليقات وخاصة الرافضة منها حركت العلاقة بين الواقع والجمهور فرضت عليه اتخاذ موقف كاشف لأغراض الحادثة الأصلية من خلال هذه الممارسة الخطابية النقدية (بلاغة الجمهور).

أما هذا التعليق فهو تحدٍ لواضعي المجسم بأنهم مهما فعلوا فإن طهارة ونور ومكانة الكعبة المشرفة لا يمكن الإتيان بمثلها أو الوصول إليها، ويرفق صورة الكعبة لتثبيت مضمون الاستجابة.

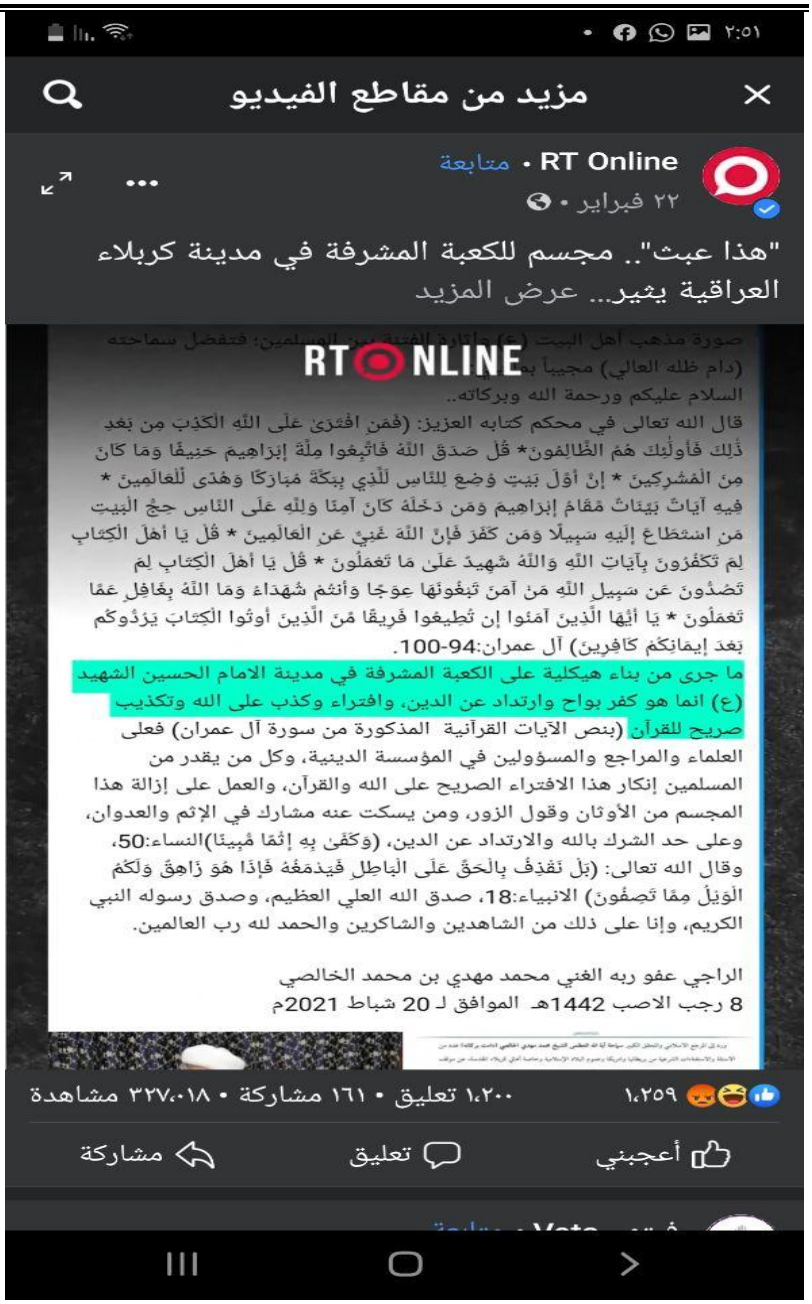

وفي هذا التعليق الهجومي، أُعتبر الحدث كفرا وارتدادا على الدين وافتراء وكذبا على الله، ودعوة صريحة لاتخاذ موقف من قبل المؤسسات والمراجع الدينية، وتوعد الساكت بأنه مشارك في الإثم باعتبار هذا العمل

ذنبا يحاسب عليه. وهذه فرصة غير مسبوقة تعطي للمتلقين فرصة للدعوة والتحريض واستهجان الكثير من الممارسات والخطابات المتنوعة.

وعلى اختلاف الاستجابات البلاغية الفعالة ((لكن معرفة خصائص الاستجابة البلاغية الرشيدة وسماتها تحتاج إلى جهد استقصائي مستقل ويمكن القول أن الشرط الأول للاستجابة البلاغية الرشيدة هو عدم وقوعها في فخ الايديولوجيا وألا يتحول مفعول الاستجابة إلى سلاح في يد فئة أيا كانت لتضرب به فئة أخرى أيا كانت))[20].

لقد كشف تحليل جملة التعليقات عن وجود قدرات نقدية وغير نقدية وكفاءة تأويلية، حتى مع إصدار أحكام خالية من المبررات والحجج. ((وهو ما يجعل من الضروري على بلاغة الجمهور أن تركز على البعد البيداغوجي من جانبين: الجانب الأول: توعية جمهور المتلقين بخطورة وأهمية استجاباتهم في تشكيل الخطاب. الجانب الثاني: العمل على صياغة برامج تدريبية عملية تنمي القدرات النقدية، وترشد من حدة الانفعالية في الاستجابة))[21]. وبهذا بجعل من هذه الممارسة أثرها الفعال في تغيير الواقع إلى الأفضل، وخلق وعي متحرر اتجاه هذه المسؤولية الاجتماعية .

النتيجة:

بعد هذه الضجة الاعلامية التي قام بها الجمهور، تحققت الاستجابة لهم فقد تم رفع المجسم بعد يومين من وضعه وحتى قبل عمل المشهد التمثيلي الذي وضع من أجله، وما هذا إلا تأكيدا على أهمية هذه البلاغة الجماهيرية وفاعليتها في المجتمع. فضلا عن أن ((هناك غرضا بعيدا من وراء التجديد هو أن تكون المادة المجددة من مواد النهوض الاجتماعي والأمر ينطبق على تجديد البلاغة العربية تجديداً يمس الأصول والأسس فيغيرها وينفي فيها ويثبت، ويخالف مقررات كبرى نجدها في البلاغة المتفلسفة حتى نصل

البلاغة بالحياة))[22] ، وبذلك نجعل الأدب يؤدي وظيفته الاجتماعية من خلال إعادة الوعي الذي هو بوابة التحرر.

المصادر:

- د. سعيد العوادي،البلاغة الثائرة،خطاب الربيع العربي عناصر التشكيل ووظائف التأثير، دار شهريار، العراق ، ط1، 2017.
- د. صلاح حسن حأوي و د. عبد الوهاب صديقي،بلاغة الجمهور (مفاهيم وتطبيقات)،، دار شهريار. العراق، ط1، 2017.
- سلامة موسى،البلاغة العصرية واللغة العربية،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر – القاهرة، 2012م.
- د. صلاح حسن حأوي،تحرير البلاغة "بحث في الذاكرة "،، دار شهريار. العراق – البصرة، ط1، 2021.
- د. صلاح حسن حأوي، بحث طُرح في ندوة ثقافية يوم 4/ 2/ 2012. (فاعلية الطقوس الدينية في المجتمع العراقي، "تشكّلها ووظيفتها البلاغية") ضمن ندوة آفاق التراث الشعبي العراقي في كلية الاداب.
- غوستاف لوبون، سايكولوجية الجماهير ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط1، 2011.
- رولان بارت،قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أوكان، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2011.
- نادية بن ورقلة،(دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشباب العربي)، مجلة دراسات وابحاث، جامعة الجلفة، المجلد 11، الجزائر، 2013م.
- أمين الخولي، فن القول،، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر ، ط1، 1996.

الهوامش والإحالات:

[1] - سلامة موسى، لبلاغة العصرية واللغة العربية، مؤسسة هندأوي للتعليم والثقافة، مصر – القاهرة، 2012م، ص91.

[2] - د. صلاح حسن حأوي،تحرير البلاغة "بحث في الذاكرة "، دار شهريار،العراق – البصرة، ط1، 2021، ص15.

[3] - المصدر نفسه،ص16.

[4] - د. صلاح حسن حأوي،تحرير البلاغة "بحث في الذاكرة "،مصدر سابق ، ص119.

[5] - غوستاف لوبون،سايكولوجية الجماهير، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت – لبنان،،ط1، 2011،ص 45.

[6] - ضياء الدين محمد، بلاغة جمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي دراسة في خصائص الاستجابات وآلياتها،، بحث من كتاب بلاغة الجمهور (مفاهيم وتطبيقات)،تحرير وتقديم د. صلاح حسن حأوي و د. عبد الوهاب صديقي، دار شهريار. العراق، ط1، 2017، ص209.

[7] - البلاغة العصرية واللغة العربية، مصدر سابق، ص92.

[8] - بلاغة الجمهور، مصدر سابق، ص207.

[9] - تحرير البلاغة " بحث فب الذاكرة "، مصدر سابق، ص135.

[10] - بلاغة الجمهور، مصدر سابق،ص118.

[11] - نادية بن ورقلة،(دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشباب العربي)، مجلة دراسات وابحاث، جامعة الجلفة، المجلد 11، الجزائر، 2013م.

[12] - بلاغة الجمهور، مصدر سابق ، ص 216.

[13] - د. صلاح حسن حأوي، بحث طُرح في ندوة ثقافية يوم 4/ 2/ 2012. (فاعلية الطقوس الدينية في المجتمع العراقي، "تشكّلها ووظيفتها البلاغية") ضمن ندوة آفاق التراث الشعبي العراقي في كلية الاداب.

[14] - تحرير البلاغة " بحث في الذاكرة "، مصدر سابق، ص 26.

[15] - رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أوكان، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2011،ص160.

[16] - د. سعيد العوادي،البلاغة الثائرة "خطاب الربيع العربي عناصر التشكيل ووظائف التأثير"، دار شهريار، العراق ، ط1، 2017، ص303.

[17] - بلاغة الجمهور، مصدر سابق ، ص 147- 148.

[18] - بلاغة الجمهور، مفاهيم وتطبيقات،مصدر سابق، ص231.

[19] -)بلاغة الجمهور، مصدر سابق، ص 231.

[20] - بلاغة الجمهور، مصدر سابق، ص 251.

[21] - نفس المصدر، ص 250.

[22] - أمين الخولي،فن القول،، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر ، ط1، 1996، ص 63 – 64.